

جماليات التأويل في رواية حزّ القيد  
للروائي العماني محمد عيد العريمي  
*The Aesthetics of Interpretation in Haz Elkaid  
of Omani novelist Mohamed Eid Al – Arimi*

د/ انشراح سعدي \*

|                         |                          |                           |
|-------------------------|--------------------------|---------------------------|
| تاريخ النشر: 2019/07/20 | تاريخ القبول: 2019-06-08 | تاريخ الإرسال: 2019-02-02 |
|-------------------------|--------------------------|---------------------------|

الملخص:

تتضمن هذه الدراسة الموسومة : جماليات التأويل في رواية حزّ القيد للروائي العماني محمد العريمي، قراءة لنص روائي عماني معاصرو وفق مفهوم الألماني هانز جورج غادامير للتأويل ، واعتمدنا بشكل أدق في هذه الورقة على استراتيجية ثلاثية الدوائر التأويلية، إذ حدد غادامير ثلاث دوائر تختصر آليات التأويل عنده وتحدد الخطوات المتتالية في القراءة وهي الدائرة الجمالية والدائرة التاريخية والدائرة اللغوية ، التي نكتشف من خلالها جماليات حزّ القيد.

**Abstract:**

*In my study which deals with " the aesthetics of interpretation in Haz elkaid of Omani novelist Mohamed Eid al – Arimi " I emphasized on thé interpretation strategies created and used by Hans Goerge Gadamar in which the latter used the three major circles which are: historical and aesthetics but the third one ,linguistics, is the most important circle That helped me to stand on and extract the aesthetics of the Omani novel.*

\*\*\* \*\*

إن كل قراءة لنص روائي لا تعدو أن تكون تأويلا ، قد يختلف من متلق إلى آخر ، ولكنه يعزّز مبدأ ديمقراطية التلقي ، ومن هنا تروم هذه الورقة البحثية إلى

\* جامعة الجزائر 2 البريد الالكتروني: inchirah78@gmail.com

تسليط الضوء على ما تبنته رواية العماني محمد عيد العريمي<sup>1</sup> الموسومة حز القيد من أفكار ورؤى يختلف تأويلها من قارئ لآخر، خصوصا وأنّ الروائي جعل المكان المتخيل الذي جرت فيه الأحداث " قحطين "، مكانا ينطبق على معظم البلدان العربية، أين تتجمّع الثروات في أيدي فئة قليلة ويعيش غالبية الشعب تحت خط الفقر، وما يترتب عن ذلك من قضايا ومشكلات وظّف النّاص خياله فألبس هذا الواقع أقنعة مختلفة خلق من خلالها جمالية شكلية ومعنوية، حملتنا على استنطاقها وتأويلها منطلقين من مفهوم هانز جورج غادامير للتأويل<sup>2</sup> في محاولة لإخراج النص من اغترابه وربطه بالحاضر، لنجيب عن سؤال جوهوي خفيّ طرحه "حز القيد" علنا نتمكن من فهم النص، الذي لا يتحقق إلا بفهم أفق المعنى وأفق التساؤل معا فنحدّد المعنى ونحرّق قيد محمد العريمي.

ميز غادامير بين نوعين من الفهم : الفهم الجوهرى والفهم القصدي، الأول الحقيقية التي يمكن للأثر الفني أن يكشف عنها والثاني - الفهم القصدي- وهو فهم يتعلق بمقاصد المؤلف، ولتحديد الفرق بينها نعتمد على التجربة الفنية كتعبير عن عملية الفهم وكيف يمكن لها أن تتم وبالتالي كيف يمكن استخراجها من الأثر الفني وذلك بالبحث في المقاصد والأبعاد المتداخلة في تشكيل هذا الأثر فرديا واجتماعيا وتاريخيا<sup>3</sup> فبتداخل الذوات في الآثار الفنية وتفاعلها تكتسب الذوات القدرة على صياغة معنى لهذا الأثر، وهذا لا يعني أن التأويل هو البحث في مقاصد المؤلف، وإنما التأويل هو تجاوز لفكرة المنهج وبحث عن الحقيقة للكشف عنها مما يجعل الفهم في أساسه عملية انكشاف ويجعل الحقيقة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتجارب المعيشة<sup>4</sup> فهل محمد العريمي يتحدث عن تجربة معيشة؟ وما الحقيقة التي سنكشف الحجب عنها؟ وبسؤال أوضح كيف نفهم حقيقة نص العريمي؟

يحيلنا غادامير إلى بنية هذا السؤال حين يقول: "فهم النص يعني فهم السؤال المطروح عليك"<sup>5</sup>، ففي النص أسئلة تفرض نفسها على القارئ أشرنا إليها أعلاه أداها الأساسية اللّغة، لأننا نتعامل مع نص روائي وإن اختلفت مستويات التعبير فيه التي قد

تعطل عملية الفهم وبالتالي التأويل، ولذلك يضيف غادامير "عوائق التعبير اللغوي في الواقع هي عوائق للفهم ذاته، كل فهم هو تأويل، وكل تأويل يفتح في بيئة اللغة التي تريد استحضار موضوع الكلام والتي هي مع ذلك اللغة الخاصة بالمؤول في الوقت نفسه<sup>6</sup>، ولعل الإهداء باعتباره جملة لغوية واضحة يختصر الأسئلة بل يقطع الشك باليقين بالنسبة لنا كمؤول لهذا النص، فحين يقول "إلى الجرح العربي النازف في فلسطين والآن في العراق الحبيب"<sup>7</sup>، لا يمكننا أن نفهم رواية العريمي إلا بالتّمعّن في هذا الإهداء الذي على بساطته ووضوحه نعتبره مشفرا، تشفيرا لا تفكّه إلا فصول الرواية التي كلما قرأناها عرفنا أنها وإن قصدت جزءا محددا من هذا الوطن العربي، فهي جزء تتكرّر صوره من المحيط إلى الخليج على اختلاف الأمكنة والأزمان فلن نفهم النص في معناه إلا بامتلاك أفق السؤال الذي يشتمل بالضرورة أجوبة ممكنة أيضا<sup>8</sup>

ففهمنا لنص العريمي يوصلنا للحقيقية، فالمبدع يعبر عن خبرته من خلال نص ما هو إلا تجسيد للحقيقة من خلال الوسيط الحسي المتمثل في الشكل، اختار محمد العريمي أن يكون بناء روائيا، ينقل من خلاله خبرته ولا يمكننا فهمها إلا بالانفتاح على الوجود وبإدراك السؤال الذي يطرحه علينا هذا العمل الفني الذي نشارك من خلال التأويل في بناء معناه، وهذا يعني التحام الحقيقة بالتجربة، والفهم هو الاستماع لما يمكن أن يقوله الأثر الفني في سياقنا الراهن، أي أن علاقتنا بالأثر هي علاقتنا بذاتنا، فنحن من خلاله نرى واقعنا الراهن والحالي وهذا ما يعبر عنه بانصهار الآفاق أي الجدلية التي يمكن أن تنشأ بين المعنى المنتج والسياق المستهلك<sup>9</sup>

تجدر الإشارة هنا إلى أن غادامير لا يعمل بمبدأ التمايز الجمالي المتمثل في التّمييز بين الشكل والمضمون في العمل الفني، وبصيغة أخرى الأمر الأساسي في خبرتنا الجمالية بعمل فني ليست هي المضمون ولا الشكل، و"تنحصر مهمة الهرمنيوطيقا بالدرجة الأساس في فهم النص لا في فهم المؤلف، وهو أمر لا بد أن يكون واضحا بذاته من خلال مفهوم المسافة الزمنية ومن خلال التوكيد على المعنى في الفهم التاريخي، إن النص يتم فهمه

لأن هناك علاقة بين الأشخاص، بل لأن هناك مشاركة في موضوع الحديث الذي يوصله إلى النص<sup>10</sup>، والمشاركة في موضوع الحديث بين الذوات، هي ما يدور من أحداث في واقعنا العربي تشابه بل تتقاطع مع حز القيد بل تتطابق أحيانا، رغم أن لكل من الذات والقارئ والآخر أو النص في حد ذاته أفقه الخاص انطلاقا من الظروف المحيطة بكتابته من حيث هو بنية رمزية قصدية.

#### 1- انصهار الأفق في حزّ القيد:

يقول غادامير " الأفق شيء نتحرك فيه، يتحرك معنا، وآفاق الشخص المتحرك متغيرة، ولا يتحرك الأفق الذي يطوّقنا بفضل الوعي التاريخي، إنما فيه تعي هذه الحركة. عندما يتحرك وعينا التاريخي نفسه داخل الأفاق التاريخية، فهذا لا يلزم عنه اجتياز عوالم غربية غير مرتبطة بأي شكل من الأشكال بعالمنا، بل إن هذه العوالم تكون معا الأفق العظيم الواحد الذي يتحرك من الداخل والذي يتجاوز حدود الحاضر ليشمل الأعماق التاريخية لوعينا الذاتي".<sup>11</sup> ويعتبر غادامير أن كل شيء يتضمنه الوعي التاريخي يشمل أفق تاريخي مفرد، أما ماضينا الخاص والماضي الآخر الذي يتجه إليه وعينا التاريخي فيساعدان على تشكيل هذا الأفق المتحرك الذي تعيش الحياة الإنسانية دائما خارجه، والذي يحددها كإرث وتراث<sup>12</sup> لربط هذا التعريف بموضوعنا علينا أن نضع القارئ أولا في سياق الرواية لتسهيل عملية الفهم.

تندرج رواية حز القيد لمحمد العريبي ضمن أدب السجون، وتدور أحداثها حول شاب يدعى علي الناصر يتحاشى الآخرين للثغة في لسانه، أعجب بكلام سعد ثابت بن مرة الجريء، خلال ندوة حضرها طرح فيها قضايا حساسة لم يجرؤ أحد قبله على طرحها، كمشاركة الشعب في الحياة السياسية والحق في حرية التعبير والتغيير، هذا الانهيار دفعه إلى التقرب منه "ونويت التعرف على سعد، للتعبير له عن إعجابي بجرأته، وشكره على إثارة معاناة أهلنا سكان المناطق البعيدة التي قلما تجد لصراخها صدى في نفوس غير

أبنائها ، فمثله فقط، ومن خلال منبر كهذا ، أقدر على إثارة الأسئلة ودق نواقيس الخطر!<sup>13</sup>

تزامنت ندواته مع انتشار رسائل تحريضية تذكّر مواطني قحطين بحريتهم المنقوصة وحقوقهم المسلوبة، وبحملة اعتقالات شرسة جعلت الأهالي يتبرؤون من أي شيء يمكن أن يربطهم بالمعتقلين، خصوصا وأن سعد قد ورّط ناصر حين دعاه للسينما وجاءت الشرطة لتفتش عنه وهو من هرب في صمت مورّطا ناصر الذي عاينت الشرطة بطاقة هويته، ليدخلنا محمد العريمي في متاهات التحقيقات والقلق الذي يعتري الفرد المستدعي للتحقيق ، خصوصا وأن ناصر شوهده لمرات عديدة مع سعد المتهم رفقة آخرين بتشكيل تنظيم سريّ يسعى لإطاحة النظام بقوة السّلاح حسب ماترّوج له السّلطة في قحطين، تفضي التحقيقات إلى اقتياده إلى سجن اسمه مراغة البعير الأجرب أين يقاسي الأمرين على يد محققين ،الأول الملقب بالخازوق،والذي يتبع أساليب العنف التقليدية، والثاني المدعو عبد الرؤوف الذي يجبر السجين على الاعتراف بوسائل تتجاوز الجسد لتتوغل في النفس مخلفة جروحا لا تطيب.

لا يمكن للقارئ أن ينكر أن هذه الحكاية ليست بالغريبة عنه، وحين نقول القارئ لا نقصد القارئ العربي فقط ،لأن مصائر الشعوب التي تصبو إلى التحرر والانعقاد نفسها، رغم تباين الأمكنة والهويات، وعلى اختلاف الذوات القارئة لحزّ القيد تتقيد جميعا بأفقه الخاص الذي لا تستطيع أن تتجاوزه في عملية الفهم وبالمقابل للنص أفقه الخاص به ، فإن كان فكر القارئ يدور حول مسألة الحريات والديمقراطية في الوطن العربي وهنا تجدر الإشارة إلى أن غادامير يعد الخبرة المعيشة/l'expérience vécue أساس التأويل، والقارئ بتفعيل هذه الخبرة المعيشة يقرأ النص وفقها ويلبسه واقعا معيشا يؤوّله من خلاله .

أصر الروائي على أن يجعل أفقه الخاص به بإلغاء الزمان والمكان، بل وإلباس المكان اسما يفتح باب التأويل ليتقاطع أفق الدّات وأفق النّص وينصهران تماما، جاء في حز

القيد" في البداية خلقت "قحطين" الأرض، ولأنّ الأرض لا تصير وطنًا إلا إذا استوطنتها البشر ظلت قحطين أرضًا لا وطنًا... لا أحد يعرف أين تقع ولا أحد يعرف الطريق إليها!"<sup>14</sup>، ورد هذا ضمن ما وسمه حكاية البداية ، وكأنني بالروائي يحدد الممكن و اللاممكن في التأويل بل يسطّر أفق القارئ من جهة ويمهّد لانصهاره بأفقه من جهة أخرى حين يقول "...وأما وقد حدث كل ذلك فكان لابد من أن يعثر الإنسان ولو بالمصادفة على قحطين الأرض، فعبر إليها المغامرون البحار، وقطع المستكشفون الرمال، وسافر إليها الساعون وراء المال، وجاء إليها الطامعون في الحكم والسلطة ومعهم الجند والعسكروغدت قحطين وطنًا بعد أن كانت أرضًا يبابًا...قبلة للفقراء والمتشردين ووطنًا لمن لا وطن له، توزعت أرضها إلى مدن وحواضر على السواحل، وبلدات أخرى في الدواخل، وانقسم سكانها إلى قلة تملك كل شيء وكثرة تملك لاشيء" <sup>15</sup> والجملة الأخيرة هي التي تربط الأفقين معا لأنّ العريبي "طرق المناطق المسكوت عنها ، لزعزعة حضورها المتأله أو المرعب في الوعي الجمعي ، وطرح إشكالاتها المؤرقة أمام الرأي العام عبر نص كثيف سرديا أو شعريا ، نص يحاول أن يقول عبر الرمز والايحاء ما يعجز الوعي العام عن امتثاله واستحضاره من محظورات<sup>16</sup> ، وهذا المسكوت عنه صورة مستنسخة في أغلب البلدان العربية إن اعتبرنا النص موجّهًا للقارئ العربي لأنه مكتوب باللغة العربية، دون فتق لجروح هذا العربي الذي يعيش والعسس تحسب أنفاسه، فجعل بطل حز القيد بطلا بسيطًا يشبه أي شخص في عالمنا العربي لا علامة تميّزه إلا اللّغة التي وضعها العريبي كعلامة فارقة لبطله ، فهل يدعو للحرية من لم يحزّر لسانه بعد؟

## 2- آليات التأويلية في حز القيد

عمل غادامير على خلق "استراتيجية ثلاثية للتأويل ضمن دوائر تكشف عن غنى مرجعيته الفلسفية، إذ يمكن العودة بها إلى الفلسفة اليونانية والكانطية واليهيكلية والكانطية الجديدة والرومانسية (رومانسية شليمرماخر وديلتي) وهكذا يتعلق الأمر بالدائرة الجمالية والتاريخية واللغوية وهي، في نهاية المطاف، دوائر تحيل على الأجزاء

الثلاثة المكونة لـ "vérité et méthode" في احتوائها للتجربة الهيرمينوطيقية في سعيها لإعادة الاعتبار للحكم المسبق وللتراث وللسلطة وطموحها إلى الشمولية"<sup>17</sup>، حدد غادامير ثلاث دوائر تختصر آليات التأويل عنده وتحدد الخطوات المتتالية في القراءة وهي الدائرة الجمالية والدائرة التاريخية والدائرة اللغوية .

### 2-1 الدائرة الجمالية:

تطرح الدائرة الجمالية، مفهوم التأويل ضمن مجموعة من القضايا. أهمها على الإطلاق، قضية استخلاص مسألة "الحقيقة" من مجال تجربة الفن من جهة. ومحاولة إحلال الجمالي في الهيرمينو-تاريخي من جهة أخرى. ففي القضية الأولى، يضطلع التأويل بوظيفة إبستمولوجية تم تطويعها من قبل غادامير لخدمة مشروعه الفلسفي ككل، أي تقديم "الهيرمينوطيقا"، وفي القضية الثانية، يضطلع بوظيفة نصية كشفية للحقيقة المجسدة في تجربة العمل الفني والأدبي بغية دمجها في سياقه التاريخي المحدد لبعده الجمالي الأصيل<sup>18</sup> ينطلق غادامير من مجال الفن بمعناه الأنثروبولوجي الواسع - لاستخلاص مسألة الحقيقة. حيث يعيش الإنسان عبر تأثيره بحواره مع العمل الفني، تجربة الحقيقة. بكل أبعادها دينية، فلسفية، اجتماعية، احتفالية طقوسية، أي الحقيقة التي تتجاوز أساساً حقائق المعرفة المنهجية، ولا يمكننا أن نحدد جمالية حَزَّ القيد إذا أخرجناها من التجربة التاريخية، فتاريخنا العربي القديم والمعاصر شاهد على اغتيال كل الأصوات المعارضة للسلطة والمطالبة بحرية التعبير والتمثيل والمشاركة، وعلى اعتبار أن النص صدر عام 2005 فسيكون محمد عيد العريمي صاحب نبؤة، إذ تنبأ بما سيحدث في بعض الأقطار العربية أو لنقل ما سيحدث لبعض الثوار في ثورات طالبت بالعدالة الاجتماعية والحق في التغيير والديمقراطية تحت سقف مارد الفقر الذي يهدد أغلب سكان الوطن العربي" وكنت أحس مترجفاً آنذاك بارتعاشات خفيفة وأنا أدرك من كلام سعيد المزيد من فجيعتنا : نحن سكان حزام الفقر هنا وأهلنا هنا كفي مناطق الأطراف.... فجيعة غياب معظم الخدمات الأساسية للضرورة للإنسان... تلك التي اجتمعت لتزيد من

عزلة المكان وتعزز من هامشيته، فظل كما كان دائما مرتعا لويلات الفقر والمرض والأمية<sup>19</sup>، واصل محمد العريبي تعبيد الطريق للقارئ من خلال بعض التساؤلات " بعد ذلك اللقاء العابر أبدى سعد رغبة أكثر لتوثيق العلاقة بيننا! كنت أعلم أسباب تقربي منه ، بيد أنني لم أفهم الدوافع التي جعلته هو يهتم بي وبآخرين غيري من عمال وصغار وظيفي الشركة التي كنا نعمل فيها... لا سيما أنه لا تجمعنا به مصالح ولا شؤون مشتركة إلى جانب فارق المستوى التعليمي والوظيفي والثقافي..."<sup>20</sup>، ينقلنا هذا المقطع من السؤال إلى أفق السؤال لارتباط هذا الأخير بسياق انتاجه ، ماهي غاية سعد المتقرب من الطبقات الكادحة ؟ يضعنا السياق في أفق الريبة والشك، خصوصا وأننا نعرف كيف تستغل هذه الطبقة في مشاريع ومخططات تكون مسلوقة الإرادة في تنفيذها، يعرف مفهوم السياق تحديدا بكونه "يمثل وجهة نظرتفيد إمكانات الرؤية لأجل ذلك يرتبط مفهوم الأفق أساسا بالسياق، الأفق هو الدائرة البصرية التي تضم وتحتوي على كل ماهو بصري وفق نقطة محددة"<sup>21</sup>

وإن جئنا لربط العمل بحياة محمد العريبي في سلطنة عمان، نجد أن الروائي لم يختر السلطنة كفضاء له بل اختار قحطين التي لا تقع في أي رقعة من الأرض، فهي مكان من صنع العريبي، إلا إذا حذفنا حرفها الأول لتصير حطين التي سنتحدث عنها في الدائرة اللغوية، أرخ العريبي لجرح بطله علي الناصر، بدءا من قلق كان ينهشه حين عرف أنهم يبحثون عن الرجل الذي أبهره والذي اختار العريبي أن يفتح السرد بالحديث عنه، سعد ثابت بن مرة في جزء عنوانه القبض على سعد" لم يكن مظهر سعيد ثابت بن مرة : كما قدمه عريف الندوة يوحى بشيء مختلف ، ولكن عندما تحدث، وتجاوز في طرحه المعهود من الكلام ، بدا وكأنه يتحدث في مكان آخر خارج فضاء قحطين... قحطين الوطن وقحطين المدينة"<sup>22</sup>، فقحطين ترزح تحت الخوف من أنياب السلطة وعسسها، وصولا إلى مراغة البعير الأجرب" بعد رحلة استغرقت النصف الثاني كله من ذلك النهار توقفت الشاحنة. وعبثت فتحات التهوية الصغيرة انسابت إلى مسامعنا أصوات حركة أحذية ثقيلة



وأحاديث ، وتهادى إلى أسمعنا أيضا صراخ تحمله ربح وتراب الصحراء،فتح أحد العسكر الباب وطلب منا الوقوف في طابور واحد كيف وقفنا ؟ وهل وقفنا في طابور كما أراد؟ ..لا أدري"<sup>23</sup>.

تحيل رائحة تراب الصحراء إلى السجون العربية سجون خاصة لفئة معينة من المواطنين، سجون عادة تستقبل سجناء الرأي العام، قد لا أتمكن من أن أحصها كلها ولكني سأذكر بعض منها : (سجن رقان صحراء الجزائر، سجن تازمامارت صحراء المغرب، سجن الرزين بالإمارات ، سجن تدمر صحراء سوريا ، سجن الحوت المركزي صحراء العراق....)، سجون لها حكاياتها وقصصها أثارتنا قراءتنا لمقطع ربطنا أليا بتاريخ السجون العربية، ربما لأننا تحركنا من مواقف تأويلية ناتجة عن امتلاكنا وعيا تاريخيا لا يمكن أن نقرأ النص بمعزل عنه، خصوصا وأن فهم العمل هو إعادة إنتاج التأويل.

ربما هذا ماجعل غدامير يميز بين وعينين : الوعي التاريخي والوعي التاريخي، فالأول يعين وعي المؤرخ تجاه فعل التأريخ ذاته: تصوره ومنهجه في التأريخ. والثاني يعين وعي المؤول الذي يمتلك -بالضرورة- موقفا تأويليا ناتجا عن امتلاك وعي تاريخي يجعله يعي تناهي وجودنا في التاريخ الذي ننتمي إليه قبل أن ننتمي إلى أنفسنا<sup>24</sup>

ولأن مهمة التأويل الأساسية، في حدود هذه الدائرة، هي 'كشف وإظهار شيء النص الملتبس والغامض والمغترب وجعله مألوقا للقارئ ولا أغرب من قحطين في العمل كله لأن القارئ لا يمكن أن يحددها على خارطة العالم، ولكنه قادر على ربطها بما يحدث في الوطن العربي، أين يزج بالمئات من المواطنين الذين ينفذون مشاريع ومخططات لا يعرفون أصحابها وهم يلهثون وراء المطالبة بالتغير والحلم بالحق في الرغيف.

### 2-2 الدائرة التاريخية :

إن الدائرة التاريخية تثير مفهوم التأويل ضمن بنية ثلاثية غير منهجية تتألف من التأويل والفهم والحوار كالحظات هيرمنوطيقية، تستدعي -إجرائيا- إثارة مجموعة من المفاهيم الهيرمنوطيقية الأخرى المتعاضدة فيما بينها لترسيخ "وعي تاريخي" محكوم

بتناهيها وبتناهي فهمنا في الوجود الذي هو نحن<sup>25</sup>. وأهم ما جاء في هذه الدائرة هو الحكم المسبق *préjugé* كشرط أساسي للفهم، ولم يتردد غادامير في إقرار أهمية الأحكام المسبقة ومدخلها إلى الفهم والتفسير "فتحيّزات الفرد وأحكامه المسبقة أكبر من ينظر إليها على أنها مجرد اعتبارات شخصية، إنها بعبارة ليست خالصة للمفسر، إنها الحقيقة التاريخية لكيونته، الأحكام المسبقة لا يجب الاستغناء عنها بل يجب استباقها لأنها أساس قدرتنا على أن نفهم التاريخ"<sup>26</sup>، ولولا أن حكمنا مسبقاً على أن حرّ القيد أحد أوطان العربية إن لم نقل كلّها لما تمكّنا من فهم النصّ ولا مقاربته، وعند طرحنا لسؤال جوهري: من أين لنا هذه الأحكام المسبقة؟ نجيب بما قاله غادامير إنها بكل بساطة من التراث الذي نحيا فيه، فهذه الأحكام ليست دخيلة على تفكيرنا، فعندما نتلقى رسالة من صديق ما، نرى الأشياء بعيني المراسل التي أراد إبلاغها لنا، ونحن نرى هذه الأشياء بعينه، فليس في اعتقادنا الشخصي، وإنما الحدث نفسه الذي نعتقد أننا نعرفه من خلال الرسالة، استهداف أفكار المراسل وقت قراءة الرسالة وليس فيما يفكر فيه، يتناقض ودلالة الرسالة"<sup>27</sup>

ميز غادامير بين أحكام مسبقة شرعية في مقابل أخرى غير شرعية، بإخضاعها لمنطق "تجربة الأشياء ذاتها" أي تجربة أشياء الواقع للحسم في صلاحيتها أو عدم صلاحيتها، نيابة عن المؤول، الذي لا يستطيع القيام بذلك الحسم، مثله في ذلك مثل غادامير نفسه، الذي يرى في السلطة -المؤسسة على مبدأ الاعتراف- أداة لفرض الأحكام المسبقة، سواء أكانت خلاقة أم لا، وهذا شأننا ونحن نتطلع إلى فهم نص محمد العريبي، لم نكن نريد أن نقوله ما لم يقله ولكننا انطلقنا في بناء عملية الفهم من تراثنا، فما أكثر البلدان التي تشبه قحطين " استمرت حملة الاعتقالات، وازداد عدد المعتقلين واختلفت توجهاتهم، وظل أسلوب الاعتقالات كما هو دون تغيير بغض النظر عن مكانه المعتقل وطبيعة وضعه الاجتماعي: يضرب طوق عسكري على منزل المطلوب، ويؤمر سكانه عبر مكبر صوت بإخلاء المكان ورفع أيديهم فوق رؤسهم، ثم يدخل العسكر المنزل"<sup>28</sup> وفي موضوع آخر يقول " وكانوا

يضعون رؤوس المعتقلين في أكياس خيش تشبه أكياس الحبوب، ثم يزجون في صناديق شاحنات سوداء معتمة تأخذهم إلى حيث لا يعلم أحد مصيرهم"<sup>29</sup>، ألا تتكرر هذه الصورة في أوطاننا العربية، أليست هي صيغة الاعتقالات التي تخرج من أصحابها من نفس المدرسة، أليست مراغة البعير الأجرب صورة عن المعتقلات والسجون في الوطن العربي؟ أليست طريقة التحقيقات نفسها بل انتزاع الاعترافات نفسها الضرب والتعذيب وبعدها تعذيب نفسي يوصل صاحبه إلى طريقين لا ثالث لها الاعتراف بذنب لم يقترف أو الانتحار. أليس الخازوق رمزا لقهر كل من تسول له نفسه بالتغيير في أي مكان من العالم؟"...وقعت عيناى على عيني الخازوق. قال ولم أقرب من طاولته بعد ، وهو يتحرك على كرسي من جانت إلى آخر ويضرب طرف عصاه بخفة على راحة يده مثلما كان يفعل عندما استقبلنا.... ظل ينظر إلي وفي عينيه "ابتسامة عاهرة" كيف أجيب عن سؤال ليس له غير إجابتين: النفي أو التأكيد، ونتيجة كل واحدة منها أسوأ من نتيجة إلى الأخرى .. كيف ارد وماذا أقول "<sup>30</sup> وهل سعد يشكل حالة فرادة في الوطن العربي؟ ما أكثر الأشخاص الذين يشهون سعد ثابت بن مرة، ورط علي الناصر و خطط لذلك، فإذا لم تختلط مبادئ التحرر بالنبل والأخلاق يستحيل المطالب بالحرية والساعي للانعقاد من الأسر السلطوي إلى جلاد يستغل ثقة البسطاء وأملهم في التغيير، بل ورت زوجته التي أبدع العريمي في وصفها وجعلها تتماهى في ذات أخرى لا تقاطع مع ذاتها الحقيقية، فزوجته الجميلة بالنسبة للجميع هي امرأة عزباء لعبوب تدير بيتا مشبوها في شارع طوبان " أما عندما بدأت جارتنا العجوز تتحدث عن سلوك المرأة وذكرت شيئا عن الشبهات الأخلاقية التي كانت تدور حولها .. حينئذ فقط أصبح الخبر غير عادي بالنسبة إليّ، وكان من الطبيعي أن اربط ما قالته أم زيد بتلك المرأة صاحبة الدار المشبوهة في المدخل الجنوبي لشارع طوبان "<sup>31</sup>، وما البيت المشبوه والضحكات المتعالية إلا ذرا للرماد في العيون ،ليجتمع سعد بأعضاء تنظيمه ويبعد أعين العسس عنه وعنهم" لكن تبين بعد ذلك ، وعلى اختلاف كل التوقعات ، أن التهمة التي اعتقلوا بسببها كانت أبعد ما تكون عن الفسق والعهر الذي اتهمت به

هيفاء القامة، لم يكونوا يلعبون القمار، ولا كانوا يغنون ويلهون، ، وإنما كانوا يجتمعون ويخططون، وضبطت بحوزتهم وثائق كثيرة وأسلحة أكثر... قيل إن المرأة كانت متروجة سرا من أحد قادة التنظيم السري"<sup>32</sup>، ويعلمنا صاحب حز القيد أن سعدا طلقها قبل أن يمضي في السرداب هربا من الاعتقال تاركا إياها بمفردها لمواجهة مصيرها.

أليس ظافر نموذجاً متزناً للراغب في التغيير؟ أليس مصير ظافر هو مصير عديد الحالمين بالتغيير في الوطن العربي " اختلطت صرختي مع صوت صرير الباب. كان ظافر ممددا وسط زنزانة غارقا في بركة من دمه، وقد امتلأ فضاء الزنزانة برائحة الغضب، وحفيف جناحي روحه لا يزال يتردد بين جدرانها المطلخة بالدم"<sup>33</sup>، أليست هي نفس التبريرات التي نسمعها حين يموت سجين جراء التعذيب؟ "... الدكتور عارف طبيب السجن..هززت رأسي ، ولم أنظر إليه ...وأعلن الخازوق -صاحبك ظافر قتل نفسه ثم تابع : يبدو أنه لم يحتمل الحبس الانفرادي ، فانهار ، وقرر إنهاء حياته... لم يجد أمامه سوى ضرب رأسه بجدار الزنزانة "<sup>34</sup>، حكمنا المسبق على أن كل الشخصيات في رواية حز القيد هي شخصيات لها جذورها التاريخية أو لنقل صورها التاريخية في وطننا العربي ليس حكما جائرا لأنه أخضع لما وسمه غادامير بالمسافة الزمنية التي "تمكننا من الرجوع عبر الزمن من اختفاء الأحكام المسبقة غير المؤسسة بشكل جيد، والتي تعيث الفهم وتؤدي إلى سوء الفهم فالمسافة الزمنية حسب غادامير تسمح لنا بالإجابة عن السؤال الهرمينوطيقي النقدي فيما يتعلق بالأحكام المسبقة بمعرفة الحد الفاصل بين الأحكام الصحيحة والمشروعة والتي تساعد على الفهم، وتلك الفاسدة والتي تؤدي إلى سوء الفهم"<sup>35</sup>، ولأن المسافة الزمنية هي إمكانية إيجابية منتجة لفهم، فهي ليست مسافة للتجاوز وإنما عملية اتصال وتراكم لجملة من العناصر التي تكوّن تراثا نقراً في ضوئه نصوصنا بمعنى الثور ،من خلاله نحضر كل ما بإمكاننا استحضاره من ماضيها<sup>36</sup> هنا نخلص إلى أن الثورة عادة هي ثورة البسطاء في كل العالم لا في الوطن العربي والخيانة

دائما هي خيانة النّخب التي تخطط للثورة وتنساق بعدها إلى المصالح الشخصية ولو بالمشي على جثث البسطاء، وأن لا هازم للثورات إلا الخيانات .

## 2-3 الدائرة اللغوية :

تعتبر الدائرة اللّغوية من أهم الدوائر الغاداميرية للفهم، إذ يقر في "بداية تحليله للوجه الكوني للتأويلية ، بأن اللغة تتمتع بدلالة أنطولوجية كونية، الأمر الذي دفعه إلى توسيع سؤاله من نقطة الانطلاقة، وهي نقد الوعي الجمالي والتاريخي، إلى أبعاد كونية، لأن الإنسان بالعالم ذات طبيعة لغوية، ومن ثم فهي علاقة فهم"<sup>37</sup>، وسنشرع في تحليلنا من جملة العريمي الأولى لنبي علاقة الفهم انطلاقا من اللغة .

نلج نص العريمي من خلال الجملة الأولى هي عنوانه الموسوم حرّ القيد، وحرّ في مختار الصّحاح بمعنى قطع و في لسان العرب الحزق قطع في علاج وأما في تاج العروس القطع من الشيء في غير إبانة ، وفي معجم اللغة العربية حوزوز وهي آثار القطع من غير فصل<sup>38</sup>، ربط العريمي الحرّ بالقيد ، ولنا أن نؤول هذه الجملة عدّة تأويلات:(حرّ القيد بمعنى قطع على اعتبار أن الفعل ماض ،ويمكننا أن نعتبره فعل أمر أنت حرّ القيد أي اكسره أو اقطعه ) ، ولا نعرف من العنوان كعتبة أولى لا أي قيد يجب أن يحزّ، ولا من عليه أن يفعل ذلك ، وهل القيد قيد فعلي أم هو قيد نفسي يكبل الرّوح في دعوة من العريمي لانعتاقها.

للغة دورها الفعّال في نص العريمي ، إذ مارس اللعب بمفهوم غادامير، حين اختار أمكنة ثلاثة تحيلنا على بلد عربي بعينه يعاني ويلات الاستعمار وعلّه بعنوانه يدعوه لحرّ القيد، إنها فلسطين ففي نظرنا ما قحطين إلا حطين القرية الفلسطينية ، التي شهدت معركة حطين وهي معركة فاصلة بين الصليبيين والمسلمين بقيادة صلاح الدين الأيوبي انتصر فيها المسلمون على الصليبيين ،وهنا عملية مزاجية للغة بالتاريخ، بإضافة حرف القاف لم تخرج حطين من دائرة التأويل، بل جعلتنا نبحث أيضا في ثنایا النص عن مدن فلسطين فنجد الهيفا اذ يقول " تذكرت بيتنا القديم في " الهيفا" قبل انتقالنا إلى

قحطين المدينة ، الحارة بأزقتها الضيقة ، وبيوتها المترصة ، بنوافذها المفتوحة على بعضها بعضاً....<sup>39</sup>، أليست الهيفا أيضاً إشارة الى مدينة حيفا التي تعد من أهم المدن التاريخية الفلسطينية ، هي الصدفة أم اللعب باللغة ، حتى الشارع الذي اختاره العريبي شارع طوبان لوقلبنا نونه سينا لوجدنا مدينة طوباس في الضفة الغربية لفلسطين ، " لم يثر خبر نقلته أم زيد عن اعتقال امرأة من شارع "طوبان" انتباهي..<sup>40</sup>، إن كل حديث عن حدود اللغة كما يرى غادامير لا يضيق من مجالها بقدر ما يسهم هو الآخر في كونية العنصر اللغوي، فما ينفلت من قبضة اللغة هو ما لا يمكن أن يقال، لأن ما يقال لا يمكنه أن يستنفذ كل ما نريد قوله لهذا السبب يعد عنصر إرادة القول هو على الأقل الشيء الممكن الوحيد"<sup>41</sup>، وإرادة القول كانت موجودة عند العريبي حقاً ببعض الغموض الذي يحتاج فعلاً لعملية قراءة عميقة وفهم أعمق، لأن النص لم يخلو في نظرنا من الإشارات المكانية وحتى الزمانية الدالة ، فحين قال " ...لفت انتباهي الحلاق المجنون حسون الذي ترك زبونا لم يكتمل حلق لحيته ، ووقف يحذر الناس بأعلى صوته ، وهو يهزئ به بعنف ملوحاً بموس الحلاقة ، من تصديق الافتراءات والأكاذيب التي تطلقها راديو المصلح خميس عن نزول الكفرة على سطح القمر!"<sup>42</sup>، اول محاولة سوفيتية للنزول على سطح القمر كانت سنة 1956، السنة التي صرح فيها شمعون بيريز الذي لم يتجاوز السادسة والثلاثين من عمره آنذاك بأنه يؤيد إقامة إسرائيل الكبرى مشدداً على أنه معنيّ بأن تكون إسرائيل كبيرة في الجغرافيا وفي التكنولوجيا والمنعة العسكرية والاقتصادية"<sup>43</sup>. فالعريبي لم يضع المكان ولا حتى الزمان على طبق من ذهب للقارئ العربي ، بل كان عليه أن يفك الشفرات لمهيكل نصاً جديداً يصنعه الفهم، الفهم وحده وفقط ، إنها الرسائل العميقة التي أرسلها محمد عيد العريبي من سلطنة عمان في 2005 عبر نص فارق لغة وسرداً وموضوعاً ، رسائل كان على القارئ العربي أن يفك شفرتها منذ زمن طويل جداً، قلنا في بداية التحليل أن نص العريبي سيقودنا إلى الحقيقة ولا حقيقة أوضح من مشروع يسعى إلى الاستحواذ على وطننا العربي الجريح شبراً وراء شبر.

### الهوامش :

<sup>1</sup> محمد عيد العريمي ،كاتب ومترجم عماني ، صدر له :مذاق الصبر 2001، حَزَّ القيد 2005، بين الماء والصحراء، 2006، ورواية مترجمة مزرعة الحيوان 2006، قوس قزح قصص قصيرة ، ينظر الذاتية في أدب محمد عيد العريمي ، مجموعة مقالات ، الجمعية العمانية للكتاب والأدباء، مسقط، سلطنة عمان، 2018، ص11.

<sup>2</sup> ولد هانز جورج غادامير ببرسلو بألمانيا 1900/02/11، درس الدراسات الكلاسيكية الإنسانية في فقه اللغة وتابع دراسة الفلسفة في جامعة ماربورغ على يد نيقولا هارتمان وأحد مؤسسي الكانطية الجديدة بول ناتوري الذي ي أشرف على رسالته سنة 1922، تعرف على الفيلسوف الألماني ماكس شيلر الذي وجهه إلى الفينومولوجيا وهو الفرع الذي درسه فيما بعد في فريبورغ على يد كل من هورسل وهيدغر.

<sup>3</sup> محمد شوقي الزين: تأويلات وتفكيكات ، فصول في الفكر الغربي المعاصر ، ط1، المركز الثقافي العربي بيروت ، لبنان، 2001، ص37.

<sup>4</sup> مرجع سابق ، ص38.

<sup>5</sup> -Hans George Gadamer :vérité et méthode, les grandes lignes d'une herméneutique philosophique ;seuil ;Paris,1976,p216.

<sup>6</sup> -Ibid,p235.

<sup>7</sup> محمد عيد العريمي :حَزَّ القيد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة 2005، 2، صفحة غير مرقمة .

<sup>8</sup> Hans George Gadamer :vérité et méthode, les grandes lignes d'une herméneutique philosophique ,p216.

<sup>9</sup> مرجع سابق ، ص39.

<sup>10</sup> عادل مصطفى : فهم الفهم مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير ، مؤسسة هنداو سي أي سي، المملكة المتحدة ، 2018، ص179.

<sup>11</sup> هانز جورج غادامير: الحقيقة والمنهج، الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية ، ترجم حسن ناظم، علي حاكم صالح، ط1، دار أوبا ، 2007، ص415.

<sup>12</sup> مرجع سابق، ص415.

<sup>13</sup> محمد عيد العريمي :حَزَّ القيد، ص19.

<sup>14</sup> محمد عيد العريمي :حَزَّ القيد، ص15.

<sup>15</sup> مصدر سابق، ص15

<sup>16</sup> فاطمة الشيدي: الذاتية في سرديات محمد عيد العريمي بين المسكوت عنه وملامح السيرة الذاتية . ضمن الذاتية في أدب محمد العريمي، تحرير محمد زروق، الجمعية العمانية للكتاب والأدباء ، سلطنة عمان، 2018، ص13.

<sup>17</sup> سعيد بنكراد: مفهوم التأويل لدى كادامير ، مجلة علامات ، العدد 14، 2000، نسخة الكترونية ، <http://www.saidbengrad.net>.

<sup>18</sup> مرجع سابق ، نسخة الكترونية ، <http://www.saidbengrad.net>.

<sup>19</sup> محمد عيد العريمي:حَزَّ القيد، ص18.

- <sup>20</sup> محمد عيد العربي: حز القيد، ص21.
- <sup>21</sup> Hans George Gadamer :vérité et méthode, les grandes lignes d'une herméneutique philosophique ,p134.
- <sup>22</sup> محمد عيد العربي: حز القيد، ص89.
- <sup>23</sup> محمد عيد العربي: حز القيد، ص89.
- <sup>24</sup> سعيد بنكراد: مفهوم التأويل لدى كادامير، نسخة الكترونية ، <http://www.saidbengrad.net>.
- <sup>25</sup> مرجع سابق، نسخة الكترونية
- <sup>26</sup> مصطفى العارف: الهرمينوطيقا والفهم "شلاير ماخر، دلتاي، غادامير"، مجلة مدارات فلسفية ،الجمعية الفلسفية المغربية العدد2006، 14، ص150، ص151.
- <sup>27</sup> نفس المرجع، ص151.
- <sup>28</sup> محمد العربي : حز القيد، ص26.
- <sup>29</sup> مصدر سابق، ص27.
- <sup>30</sup> مصدر سابق، ص167، ص168.
- <sup>31</sup> مصدر سابق، ص37
- <sup>32</sup> مصدر سابق، ص49، ص50.
- <sup>33</sup> مصدر سابق، ص198.
- <sup>34</sup> مصدر سابق ، ص200.
- <sup>35</sup> مصطفى العارف: الهرمينوطيقا والفهم "شلاير ماخر، دلتاي، غادامير"، ص153.
- <sup>36</sup> مرجع سابق، ص154.
- <sup>37</sup> هشام معافة : منعطفات الهرمينوطيقا ، الطريق نحو تأويلية فلسفية من شلايرماخر إلى غادامير ،مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2، العدد45، جوان 2016، ص90.
- <sup>38</sup> من موقع المعاجم [www.maaajim.com](http://www.maaajim.com)
- <sup>39</sup> محمد العربي : حزالقيد، ص196.
- <sup>40</sup> مصدر سابق، ص37.
- <sup>41</sup> هشام معافة : منعطفات الهرمينوطيقا ، الطريق نحو تأويلية فلسفية من شلايرماخر إلى غادامير، ص91.
- <sup>42</sup> محمد العربي : حز القيد، ص42.
- <sup>43</sup> الوكالة الفلسطينية: ماذا قال بريز عن العرب سنة1959؟ 16 أكتوبر 2019، <https://paltoday.ps/ar>.

\*\*\* \*\*